

بوقني الحكمة من يشاء ومن بوقني الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذلل الصخر إلا والباب

الملك
١٣١٥

فبشر صبادي الذين يستهون بالقول فبذموا أنفسهم
أولئك الذين هدامت لهم أولوالآب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوتاً و«مناراً» كثر الطريق)

﴿مصر الخميس ١٦ القعدة سنة ١٣٢٣ - ١١ يناير (ك) سنة ١٩٠٥﴾

تجارة الرقيق وأحكامها في الإسلام

من آثار المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكي الشهير كتبها بعد سياحته الأخيرة
قبل موته

من كان مطلعاً على أحوال سواحل شرقي أفريقيا وسواحل جزيرة العرب
ويطالع على ما كتبه المستر... بخصوص مسألة الرقيق وما نسبته فيها من القصور
لله وتمر الدول في زنجبار يستغرب جداً من تسرع وتهجم الكاتب المذكور على
مواخذة مصلحة الرقيق بدون تثبيت في الأمر ولو أن جنابه اعتنى بتحقيق مسألة
الرقيق لظهرت له الحقائق الآتية

(أولاً) إن هذه التجارة بهمة المؤتمر المشار إليه وحراسة أوربا الداعمة لم
يبق منها إلا اسمها تقريباً

(ثانياً) هذه البقية مقصورة على شمال شرقي أفريقيا حيث نخاسي الجنس السواكبي
والجنس الدقلي يجلبون من السودان بعض الرقيق إلى الثغور المهمة الأفريقية المتقابلة
من جزيرة العرب لثغور الوجه وينبع وجدة ورابع وميلت وقونفندة وجران
(ثالثاً) تهرب الرقيق ككاد ينحصر بسفان جده المشهور أصحابها بالمهارة
البحرية وبالاقدام على المخاطرات . فهذه السفان تنقل الرقيق من شرقي

أفريقيا إلى غربي جزيرة العرب يعني أن الثغور المذكورة التي تفصل بين السواحل الغربية فيها وما بينهما من الثغور المهمة تلك الثغور الباقية وحيدة في تجارة الرقيق بل ومنذ سنين إلى الآن يتشكى أهل الحجاز من وجود قرصان في تلك المياه تحت رئاسة ابن غيش والحكومة العثمانية لا تصفى تلك الشكايات البتة

(رابعاً) هذه السفائن ليست حرة في نقل الرقيق إنما هي تخاف من بواخر حراسة الرقيق ولذلك ترصد أواخر الشهر القمري لتتشم السرى ليلاً تحت ستار الظلام فتقلع من الساحل الأفريقي إذا صادفت الريح موائقة عند غروب الشمس وتصبح في شاطئ جزيرة العرب

(خامساً) إذا تصق جنبه في التحقيق كما يفعله المغموم بالحرية غراماً أصولياً يعرف أن البقية اليسيرة للرقيق هي تصدر من الحجاز مع قوافل الحجاج فتدخل بالأكبر إلى نجد وأقل منها إلى اليمن وأقل من الجميع إلى بلاد سوريا وهذه الأخيرة ما عاد يدخلها رقيق الذكور مطلقاً

ثم لا بد أنه كتب ملاحظته في التدابير التي يراها تفيد في حسم هذا الأمر الذي يشكى منه ونحن لاجل أن لا نترك عين هذا الاعتراض يتوجه علينا نقول إن أفضل التدابير في هذا الخصوص هي هذه

(أولاً) أخذ سفائن جده وينبع وسفائن سواكن وما في جوارها أيضاً التي أصحابها من أهالي جدة تحت مراقبة قوية من قبل قناصل الدول المجتمعة في جده

(ثانياً) إبرام السفارات في الاستانة على الباب العالي أن تلزم حكومة الحجاز بمنع بيع الرقيق علناً حتى في سوقه المخصوص في مكة المسمى (الدكة) كما هو جار الآن

(ثالثاً) أن يصير تهديد الباب العالي تهديداً مشتركاً دولياً بأن إذا بقيت تجارة الرقيق مباحة في الحجاز فاللدول (تسحب تنازلها عن إقامة وكلاء سياسيين لها في ولاية الحجاز في غير جدة وذلك لاجل مراقبة تحرير الرقيق مع حماية

الحجاج المسلمين من رعايا الدول أو الذين في حمايتها (١)
لي صديق من علماء العرب المسلمين ومن مشاهير الأحرار والكتاب السياسيين (٢)
فذاكرته في شأن خصوص الرفيق والديانة الإسلامية وما هو نظر علماء الإسلام
في هذه الخدمة للإنسانية القائمة بها الدول الغربية فقال



ان الدين الإسلامي جوز الرق كسائر الأديان ولكن هذا الدين المرقى في
الحكمة التشريعية بالنسبة الى كل الشرائع القديمة لم يمنع الأحكام القاسية المألوفة
منع مصادمة إنما شدد في ثبوتها وجعل للمبتلين بها كثيرة منقذة من العقوبات
الشديدة باسم الدين (٣) ومن جهة ذلك انه ضيق دائرة الرق جدا بحيث يظهر
بكل وضوح ان قصد الشريعة الإسلامية ابطال الرق أساسا بالتدرج كما يعلم من
الأحكام الآتية

(١) الشريعة حصرت الرق في المتولدين من أبوين رقيقين وفي أسرى الحرب
القانونية مع غير المسلمين وغير العرب وغير الأقارب فان هذه الأصناف لا تسرق
(٢) جعلت الاسترقاق غير الشرعي من أعظم المحرمات فيأتي في المحرمات
تالي النفس (وفي نسخة : ومبلغه منها ان يأتي بعد قتل النفس)
(٣) جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية اذا وجد الرفيق
مها بلغت قيمته

(٤) جعلت العتق هو الكفارة العظمى لجميع أنواع الخطايا التمبديّة

(٥) جعلت العتق من أهم والتدوير

(٦) جعلت العتق محلاً للعنف باليمين التي لا تتعلق بها حق من حقوق الناس

(١) هذه الجملة التي بين قوسين قد رجحت من الأصل وكأنه كان يريد ان
يكتب في موضعها رأياً آخر وقد أصاب بحذفها على ان الدول لا تتجرأ على هذا
الآن (٢) لا يخفى على القارئ انه يعني بهذا الصديق الاستاذ الامام (٣) هذه
العبارة مبينة مقتضبة والمراد منها أن الإسلام شدد في شروط جواز هذه الامور
كالرق وتعدد الزوجات تغيراً عنها وجعل للخروج منها منافذ كثيرة كما يأتي

- (٧) جعلت المتق أمم وفاء لحق شكر الله على النعمة أو على السلامة من خطر
 (٨) جعلت المتق أمم ما يوصي به المسلم بعد موته ليكافئه الله بعقابه من
 عذاب الآخرة

والحاصل ان الاسلام كاد ان يلزم أهله بأن كل فرد منهم يعتق ما يمكنه
 إعتاقه من الرقيق ولهذا لا يستمر الرقيق عند المسلم مدة طويلة قط بل مدة موقفة
 وكذلك الشريعة المدنية الاسلامية هي أعظم شريعة جاءت بحماية عن
 الحرية وذلك انها (١) جعلت الرق يسقط بمجرد ان يدعي الانسان انه حر
 إذا اعتبرت لزوم تصديقه لأنه يدعي حقا طبيعيا وألزمته مدعي ملكه باثبات
 أصل رقيقته (٢) جعلت اقرار الانسان على نفسه بالرق ولو ألف مرة لا يسلب
 حرية ولا يمنع من ادعاء الحرية بعد (٣) جعلت الرق يسقط بمرور لفظ
 المتق على لسان المالك ولو هازلا أو سكرانا أو بلفظ لا يفهمها أو مكرها على النطق
 بها (٤) جعلت رق الانثى شبه ساقط بمجرد ان تلد ولدا من مالكتها فلا تنقل
 الى ملك آخر وبموته تصبح حرة مطلقة (٥) جعلت القول قولها في ان حملها هو
 من مالكتها واذا أنكر قولها يوثر في عتقها وان لم يوثر في ثبوت نسب الولد منه
 (٦) جعلت مالك جزء من رقيق ولو واحدا من ألف اذا أعتق جزءا عتق الكل
 رغما عن باقي شركائه وحق لهم تضمين المتق خسارتهم فقط (٧) جعلت حكم
 القاضي بالمتق ينفذ مطلقا ولو كان ظلما في حكمه (٨) جعلت خليفة المسلمين اذا
 رأى في اجتهاده (ولا بد ان يكون الخليفة مجتهدا شرعا) ان كافة الارقاء المملوكين
 للمسلمين رقيتهم غير صحيحة فحكم بحريتهم جميعهم نفذ حكمه وصار الصيदा حرا
 دفعة واحدة ولو خالف في حكمه آراء بعض المذاهب الاسلامية القديمة الى غير
 ذلك من الاحكام الشرعية التي تقاوم عادة الاسترقاق القديمة في البشر مقاومة
 شديدة فشرعية الاسلام هي أول شريعة دينية سياسية دافعت عن الحرية
 ونادت بابطال الرق بتلك الوسائل وليست معاداة الشريعة الاسلامية للرق
 من الغريب لانها ظهرت في العرب الذين هم أحرص الامم على الحرية ونزلت
 في أرضهم التي نزلت فيها أيضا صحف الحكمة على موسى النبي عليهم

السلام وتحورت بلفتهم التي كتب بها أول قانون للحرية والاخاء والمساواة ولكن كما جرت سيول برابرة الشمال رياض الرومان واليونان فأوقعتهم في القرون الوسطى المظلمة . . . كذلك جرت سيول الغول واخوتهم رياض العرب فأوقعتهم في مثل تلك القرون التي يسعون للخروج منها ومن ثم فالعلة الحقيقية لاستمرار الرق هي الامراء المستبدون الذين لا يتقادون للدين الاسلامي الا لاجل تطبيقه على اهوائهم فهم يتخذون الدين في الظاهر حجة للتمتع بالرق لاسيا بعد ان قامت الامم الغربية ودولها بتحريره فهو لاء الامراء يظهرون الآن امام اوربا انهم يودون منع الرقيق ولكن يخافون رعايهم المسلمين لان الرقيق جائز شرعا ولضرورة المحافظة على الآداب والعادات الاسلامية لا يمكنهم ابطاله دفعة بل تدريجيا ان مسامير الرق في الحقيقة هي كبرياء الامراء والمقلدين لهم وليست هي الاسلام نفسه كما يفترونه عليه ولا بد ان يستقرب الاورباويون اذا قلنا ان علماء الدين الاسلامي ليس فيهم من يجوز الرقيق مطلقا منذ عدة قرون اي منذ لم تبقى حرب قانونية اسلامية يراد بها حياة الدعوة الاسلامية ونشرها او يراد بها المدافعة عن الجمية الاسلامية وكذلك لم يبق في الامة اسراء متسلسلين وانما العلماء الاحرار يسكتون ويتجاهلون خوفا من الامراء او محاباة لهم لانهم يرون ان اعظم بيت في الامراء المسلمين لم يزل منذ اربعة قرون تقريبا متبعا قانونا عائليا من مقتضاه عدم زواج ذكورهم بنساء غير رقيقات فأهائهم وزوجاتهم جميعهن رقيقات من الكرج او الجركس . مع ان الرق لا ينطبق شرعا على الكرج منذ قرن ونصف اذ انقطع دخول جيوش الاسلام الي بلاد الكرج وكذلك لا ينطبق على الجركس لانهم مسلمون ولما هو معروف ايضا من ان الجركس يميون اولادهم يما او يسترقون من المدينين لهم اولادهم في مقابلة ديونهم

العلماء والمسلمون اذا لم يسكتوا عن بيان هذا الخلل في الكرج والجركس يلزمهم ان يحكموا ويصرحوا ايضا بان جميع اولئك الامراء ليسوا باولاد شرعيين . . . وهو لاء الامراء يمكنهم بلا صعوبة ان يطلوا هذا القانون العائلي كما اطلوا اخبر

منذ أربعين سنة قانون قتل جميع اولاد الاميرات السلطانيات اللاتي كن يزوجن لأزواجهن بشرط ان لا يعقبن اولاداً ابداً وذلك للمحرص على عظمة بيتهم الملوكي من ان يكثر الاتساب اليه

اما ما يقال عن حاجة المسلمين للرققات لاجل الخدمة فليس هناك حاجة ضرورة انما هي كبرياء وعظمة وتقليد لأرباب البيوتات من الامراء فقط كما ان الخصيان لا ضرورة لوجودهم والشريعة الاسلامية لا تجوز خصاء الحيوان فضلا عن الانسان واذا وجد رجل مخصي بفضل الغير فأكثر المذاهب الاسلامية ومن جملتها المذهب الحنفي السلطاني تعتبره كسائر الرجال بلا فرق ولا تجوز استخدامه في القصور بين النساء ولا يخالف هذه المذاهب في ذلك غير المذهب الشافعي فقط

الشريعة الاسلامية وعلماؤها الاحرار يشكرون أوروبا على منصفها الرقيق وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه ويتمنون لو ان أوروبا تهتدي الى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرقيق بالكلية

يقول صديقي المذكور انه يلوح لفكره من التدابير المؤثرة في هذا الشأن ما يأتي (أولاً) ان تستعمل أوروبا تفوذها الأدبي في استقباح وجود الجنس الاسود ذكورا واناثا في قصور الامراء بحجة قبح خلقهم واخلاقهم وكذلك استقباح وجود اناث بيض في تلك القصور اسيرات ذليلات بدون جنابة ولا اختيار (ثانياً) ان تحمل أوروبا الامراء الشرقيين على اتباع عادات امراء العرب باعلان زواجهم الشرعي وتكرهمم بالتدريج ان يطلبوا من دول أوروبا ان لا تعتبر رسماً من وراثتهم الشرعيين في الامارة كل مولود لهم من زوجة غير شرعية وهذا التحديد لاجل ان يعلن زواجها قبل الولادة بسبعة أشهر على الأقل ومنع اعلان الزواج بعد ظهور الحمل

(ثالثاً) ان تكلف الدول سفراءها في القسطنطينية وطنجة وطهران وكابل وقناصلها في تونس ومصر وجدة (عوضاً عن مكة) بان يستفتوا بواسطة حكومات العواصم الاسلامية من المفتين الرسميين التابعين لمذاهب مختلفة عن الحكم الشرعي

في مسألة نصها كما يأتي

(ما قول علماء الشرع الإسلامي المحترمين في الإنسان هل يصح اعتباره رقيقاً بشرائه من أوليائه أو بالسرقة أو بصورة الأسر ولكن في حرب قامت بها فئة صغيرة مسلمة خارجة عن الجامعة الإسلامية ومخالفة في ذلك الأسر عهداً أكثر من سلاطين المسلمين عهداً عاماً دولياً بإبطال الأسر الحربي مقابل عدم وقوع الأسر على كافة المسلمين (١))

إن هذا الاستفتاء ينتج أن القسطنطينية تحاول في الجواب وتتمتع علماء مكة عن الجواب أما باقي العواصم فكما يجب بعدم جواز الرق وهذا الجواب من الباقيين يكفي لامتناع الأمراء من فخفة استخدام الرقيق خوفاً أدياً من رعاياهم ويكفي لامتناع الناس امتناعاً دينياً من تملك الرقيق فيصبح أنصار الرق من المسلمين أعداء له وبذلك يتم بعد سنين قلائل إبطال الاسترقاق من العالم فيرتفع عن عاتق الإنسانية هذا العار العظيم والأولى أن يكون الاستفتاء من قفا بالنص العربي السالف البيان لاجل أن لا يقع فيه تحريف من ترجمه إلى ترجمة فيجد العلماء المتشرعون الرسميون مهرباً بالثأويل والمواربة في الجواب فيرضون السائلين ويرضون الأمراء بخلاف ما إذا كان النص عربياً بلغة الشريعة الإسلامية ذاتها اهـ

المنار

يصلم القراء أن علماء الأفرنج يمدون مسألة الرقيق من أكبر المطاعن في الإسلام ويفتخرون بأن مدينتهم أرقى من الإسلام لأن الإسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحررون الأرقاء حباً في الإنسانية وقد أرجع دعاة النصرانية ملكاً من ملوك المسلمين عن الإسلام بحجة أن النصرانية والإسلام شيء واحد إلا أنها تفضله بهذه المسألة رحمة بالبشر فرجع وتبعه قومه . على أن كتاب دينهم الذي ينصرونه وينشرونه فيه من الشدة على الأرقاء ما لا يوجد له نظير في الإسلام

(١) ينبغي أن يضاف في السؤال وليست هذه الحرب لاجل حماية الدعوة الإسلامية

إذا لا توجد حكومة شرعية تدعو إلى الإسلام

والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة وإنما هو شيء كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام ما يحويه مع الحكمة . وهذه المقالة كان الكواكبي رحمه الله تعالى كتبها ولم ينقحها فنشرناها على علائها بتصحيح مادفاعاً عن الاسلام وضناً بآثار هذا الرجل العاقل ان تضع حتى اننا نشرنا ذلك الرأي الذي رجحه (أي أفسد سطوره أو شطبه كما يقولون) وأما ما ذكره عن استرقاق الكرج والشركس فما أراه الا له لا لصديقه الذي نقل عنه تلك المسائل الشرعية في الرق فقد عهدناه يبحث في هذه الشؤون ونحن لا ووقوف لنا على شيء من أحوال السراري الشركيات والكرجيات فتحكم في المسألة فن كان عارفاً بذلك من فضلاء القراء فليكتب الينا به وله الفضل وبما يراه نافعا في المسألة هذا وان للمرحوم الكواكبي كتاباً سماه (ماذا أصابنا وكيف السلامة) أودعه مالم يرجع عنه من آرائه في طبائع الاستبداد مع فوائد كثيرة سياسية واجتماعية ولعلنا نجعله ملحقاً للمنازل في العام القابل

فَتَاوَا الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمزاً اخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا . ولما انتهى على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(أسئلة من دمياط تتعلق بقصة المولد النبوي)

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال بعد الثناء والتحية: جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الاشراف) المنسبين للعلم وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درس في عقيد الاسلام والشرق المرحوم